ان انهيار الاتحاد السوفياتي كنظام حكم سياسي جاء اثر فشل الاشتراكية كنظام انتاج اقتصادي. وبسبب ارتباط نظم الانتاج والتوزيع الاقتصادية بالقاعدة التكنولوجية وعلاقات العمل الاجتماعية والحوافز المادية، فان فشل النظام الاقتصادي كشف، في الوقت عينه، مدى تخلّف القاعدة التكنولوجية وتفكّك الروابط الاجتماعية وسيطرة الفساد على حياة المجتمعات الاشتراكية بوجه عام. وهذا أدّى، بدوره، الى دخول الشعوب والدول كافة، التي استقلّت حديثاً بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، في حالة من التراجع والضياع، وغياب القدرة على تعريف الذات العقائدية، وتحديد أطر العمل الوطنية، خاصة الاقتصادية والاجتماعية، بما في ذلك علاقة الاكثرية بالاقليات القومية والعرقية والدينية.

لقد جاء انهيار الاتحاد السوفياتي في فترة شهدت ذروة القوة العسكرية الاميركية من ناحية، وتراجع القوة الاقتصادية لها من ناحية أخرى. وهذا الامر دفع بها الى الاتجاه، بسرعة، نحو استخدام القوة العسكرية لتكريس وتعزيز المواقع السياسية، وتوظيف الامكانات العسكرية والسياسية، معاً، لوقف عملية التراجع الاقتصادية. ولقد جاءت حرب الخليج، في مطلع العام ١٩٩١، لتعلن تربّع الولايات المتحدة الاميركية على القمة الدولية، ودخول معظم دول العالم وشعوبه عصر الامبراطورية الاميركية.

الى جانب ذلك، تشير حقائق انهيار الاتحاد السوفياتي كامبراطورية سياسية ـ عقائدية الى ان القوة الاقتصادية والمصالح المادية قد أصبحت أهمّ أسس العلاقات الدولية، وأبرز عوامل الوحدة السياسية، وأداة تنظيم اجتماعي على الساحة الداخلية. ولذلك كان تراجع الاقتصاد السوفياتي، بمعدّلات قياسية، السبب المباشر لانهياره، كما كان الانحناء السوفياتي للارادة الاميركية، في اثناء أزمة الخليج، نتيجة طبيعية لتزايد حاجة السوفيات للمعونات المادية.

واذا كان «تضارب المبادىء مع المصالح سيؤدي، دائماً، الى انتصار المصالح»، كما ذكر، ذات مرة، كارل ماركس، فان هذا يعني ان تدهور الاوضاع الاقتصادية سيجعل من الصعب على الدول التي استقلّت حديثاً، ومن بينها روسيا، اتخاذ مواقف مبدئية مستقلة في مجال العلاقات الدولية، وانه في حال اتخاذها لمواقف من هذا القبيل فسوف تكون عاجزة عن ترجمة مواقفها الى قوة فعل حقيقية، أقلّه لسنوات طويلة مقبلة.

ان انهيار الاتحاد السوفياتي، وظهور الدول الاوروبية والآسيوية المستقلة التي خضعت، في الماضي، للشيوعية، أدّيا بدورهما الى زوال المعسكر الاشتراكي كقوة عسكرية وعقائدية. وبزوال ذلك المعسكر وما كان يجسّده من تحدّيات عسكرية وسياسية، انتهت الحرب الباردة، وأُعيد تأسيس العلاقات الدولية على أسس مصلحية لا عقائدية.

واذا كان انهيار الاتحاد السوفياتي وانتهاء الحرب الباردة قد ساهما في ازالة أهمّ العقبات التي حالت، في الماضي، دون نجاح دول المعسكر الرأسمالي في تحقيق أهدافها السياسية والامنية الرئيسة في الساحة الدولية، فان اعادة تأسيس العلاقات الدولية على أسس مصلحية أدّت الى احتدام التنافس بين دول الغرب الصناعية في المجالات الاقتصادية والتكنولوجية. وفي الواقع، كان زوال الخطر السوفياتي بمثابة ازالة أهم عناصر الوحدة التي ساهمت، بفاعلية، في تقارب وتماسك دول المعسكر الرأسمالي لأكثر من أربعة عقود متتالية. ولقد نتج عن ذلك اعادة فتح بعض الملفّات القديمة، واعادة احياء بعض المشاعر المعادية، خاصة بين الولايات المتحدة الاميركية واليابان،